الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر ودورها في ترسيخ الوحدة الوطنية

الأستاذ الدكتور مبارك جعفري

جامعة احمد دراية . ادرار . الجزائر

الملتقى الدولي الموسوم: "الحواضر القرآنية في أفريقيا الرسالة الروحية والوطنية"، المنظم من طرف مديرية الشؤون الدينية لولاية إليزي بالتعاون مع مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الاسلامي، جامعة سيدي بلعباس والمنعقد يومي 10 و11 ديسمبر 2018 بولاية إليزي.

تمهيد: عرفت الجزائر منذ القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي انتشارا كبيرا للزوايا والطرق الصوفية، والتي شكلت مع مرور الزمن دعامة من دعائم الوحدة الوطنية، تغذيها بالقيم والمبادئ، وعاملا أساسيا يلتف حوله الكثير من أبناء الشعب الجزائري، كما كان لها وعبر العصور المختلفة دورا رياديا وفي مختلف المجالات، وسنحاول من خلال هذه المداخلة إبراز دورها في ترسيخ الوحدة الوطنية من خلال تناول ما يلي:

. تعريف الزوايا وأهمها الزوايا في الجزائر.

. تعريف الطرق الصوفية وأهمها.

. دور الزوايا في ترسيخ الوحدة الوطنية.

1 . الحفاظ على الهوية الوطنية.

2 . التعليم والتربية

3 . الجهاد في سبيل الله.

4 . غرس قيم التكافل والتضامن.

5. نشر الوعي بين أفراد الشعب.

6. إفشال مخططات الاستعمار الرامية إلى تقسيم الشعب الجزائري.

7. دورها في المأساة الوطنية.

8. دورها في رأب الصدع وإصلاح ذات البين.

الخاتمة.

أ . تعريف الزاوية: الزاوية في اللغة جمعها زوايا، وزوى الشيء يزويه زياً جمعه وقبضه. وفي الحديث "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا"[1]، وزوى ما بين عينه أي جمعهما حيث جاء في ديوان الأعشى قوله:

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُوني كَأَنَّمَا ** زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ الْمَحَاجِمُ.

وفي بيت آخر:

فلا يَنْبَسِطُ من بين عينيك ما انْزَوَى ** ولاَ تَلْقَني إلاَّ وأَنْفُكَ رَاغِمُ [2]

والزاوية أيضا هي ركن البناء[3]، كانت تعني في بادئ الأمْر المسجد الصغير أو المصلى، وأصبحت تعني المكان الذي يضم مسجدا ومدرسة لتحفيظ القرآن ودارا للضيافة تتبعه أملاك وأوقاف[4]. ويرى البعض أن الزاوية مرادفة لكلمة رباط، وهي تلك الحصون والقلاع التي كانت تقام على الثغور للجهاد في سبيل الله، وفي أوقات السلم كانت تقوم بأنشطة تعليمية واجتماعية. ومع مرور الوقت تخلت عن دورها الأول للتفرغ للثاني. ويرى البعض أنها مشتقة من الفعل (زوى) بمعنى جمع، وسميت بذلك لأنها تجمع العلم والضيوف والفقراء. ويرى دوماس أن الزاوية هي مدرسة دينية مجانية ومكان للضيافة، وهي تشبه الدير في العصور الوسطى[5]. أما عند الصوفيين فهي مكان التقاء الشريعة بالحقيقة[6]. ومن هنا يمكن القول أن الزاوية هي

---

(1) **صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة**، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، 19(2889) .

(2) ميمون بن قيس بن جندل الأعشى: **الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين**، شرح أبي العباس ثعلب، طبع مطبعة آدلف هلز هوسن بيانة، 1927م، ص 58.

(3) محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، ط3، دار الفكر، بيروت، 1971، ج4، ص 715.

(4) محمد نسيب: **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، دمشق سوريا، ص 27.

(5) نفسه.

(6) ميلود سرير وآخرون: **دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات (وحدة بحث)**، جزآن، جامعة أدرار، د ت. ص29.

مؤسسة إسلامية ذات طابع علمي واجتماعي وروحي اقترنت في كثير من الأحيان بالطرق الصوفية، وكانت مكانا يلتقي فيه المريد مع الشيخ لتلقي الأوراد والذكر.

بدأ انتشار الزوايا في المغرب الإسلامي عامة والجزائر بالخصوص منذ القرن الثامن الهجري ومع حلول منتصف القرن الثالث عشر كانت لا تخلوا ناحية من أنحاء الوطن من وجودها ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر: الزاوية الحمامية بقرية الحمام دائرة الأخضرية والتي تأسست سنة 1880م[7]، زاوية سيدي احمد أويحي بولاية بجاية والتي تأسست في القرن العاشر الهجري، زاوية الشيخ مصطفى بن رمضان دائرة لوطاية بسكرة، زاوية الحملاوي بتلاغمة ميلة، زاوية الهامل دائرة بوسعادة ولاية لمسيلة والتي تأسست سنة 1855م، زاوية محلة سيدي بلال بسيدي بلعباس، زاوية العطاف بلدية العبادلة ولاية عين الدفلى والتي تأسست سنة 1280هـ، زاوية بالعربي عامر دائرة عين بوسيف ولاية لمدية، زاوية أولاد عمر موسى بمتليلي ولاية غرداية، زاوية الشيخ الحفناوي قرية الناظور ولاية قالمة، زاوية سيدي حسن بدوار لمحامة ولاية سطيف، الزاوية التيجانية بعين ماضي الأغواط، زاوية سيد البودالي باولاد سيدي براهيم ولاية سعيدة، زاوية جاهيل بجانت ولاية إليزي[8]، الزاوية القادرية بالقطنة ولاية معسكر والتي تأسست حوالي سنة 1200هـ على يد الحاج مصطفى المختاري لغريسي وبعد وفاته تولى أمر الزاوية ولده محي الدين، ثم الأمير عبد القادر[9].الزاوية الكنتية بأدرار ومؤسسها الشيخ أحمد بن محمد الرقاد الكنتي سنة 999هـ/1590م[10]، الزاوية البكرية بأدرار والتي تأسست على يد الشيخ البكري بن عبد لكريم سنة 1117هـ/1705م[11]، وزاوية الشيخ محمد بن الكبير التي تأسست سنة

---

(7) محمد نسيب: المرجع السابق، ص179.

(8) نفسه: ص ص219 . 227.

(9) أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ج1، ص 520.

(10) محمد بن سيد المختار الكنتي: **الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، مخطوط**، د ت، خزانة الشيخ سيدي عبد القادر المغيلي، الحي الغربي، أدرار، الجزائر، ج 1، ورقتي 141، 144 ؛ عبد القادر الكسنمي الطوبوي: **كتاب البشرى شرح المرقاة الكبرى**، مطبعة المنار، تونس، 1373هـ، ص 100 وما بعدها.

(11) محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: **درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**، مخطوط، د ت، خزانة تمنطيط، ادرار، الجزائر، ورقة 44 وما بعدها.

1370هـ/ 1950م بأدرار أيضا[12]، وزاوية بلعمش بتندوف، وزاوية القنادسة ببشار، وزاوية سيدي سالم بوادي سوف ومؤسسها هو الشيخ سالم بن محمد سنة 1226هـ، والزاوية التيجانية بقمار...وغيرها.

ب . التصوف: يرى البعض أن كلمة التصوف جاءت من لباس الصوف، وأنَّ أبا هاشم الكوفي هو أول من لبس الصوف، فأطلق عليه متصوفا. بينما يرى البعض أنها جاءت من أهل الصفة وهم : فقراء المسلمين في صدر الإسلام، الذين انقطعوا للعبادة وملازمة المسجد وطلب العلم، وفيهم نزل قوله تعالى: ((لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)) [13]. بينما يرى البعض أنها جاءت من الكلمة اليونانية (صوفيا) بمعنى الحكمة. ويرى البعض أنها من الصفاء: وهو نقاء القلب...وغيرها من الروايات[14].

يعتبر الشيخ أبي مدين الغوث، أول من أدخل التصوف للجزائر، وعرفت الطريقة باسمه الطريقة المدينية القادرية، التي نشرها في بجاية ثم انتقلت إلى تلمسان والغرب الجزائري، ويمكن أن نعزو إقبال المجتمع الجزائري على التصوف إلى عدة عوامل منها: المكانة المرموقة التي احتلها رجال التصوف عند عامة الناس من زهد وورع وتقوى، مثل: الشيخ أبو مدين شعيب، والشيخ عبد الرحمان الثعالبي وغيرهما، مشاركتها في الحياة اليومية للمجتمع في الأفراح والأحزان، وفي مختلف المناسبات، وقيامها بأدوار مختلفة مثل: التعليم، إصلاح البين، إيواء عابري السبيل، ملء الفراغ الروحي وحتى السياسي في بعض الأحيان، كون أغلب السكان خاصة في الريف كانوا بعيدين عن مراكز صنع القرار، بعدها عن الصراعات السياسية والفتن، إلى جانب دورها الكبير في المقاومة سواء مقاومة التحرشات الاسبانية، أو مقاومة الاحتلال الفرنسي، كما ارتبطت بالزوايا وأصبحت مرادفة لها ومن أشهر الطرق الصوفية في الجزائر:

---

(12) مولاي التهامي غيتاوي: **الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بالكبير**، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2002، ص 09 وما بعدها.

(13) سورة البقرة: الآية 273.

(14) ينظر: عبد الحكيم عبد الغاني قاسم: **المذاهب الصوفية ومدارسها**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م، ص 22 وما بعدها.

. الطريقة القادرية: أو الجيلانية؛ تنسب لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولد سنة 471هـ/1079م وتوفي سنة 561هـ/1166م، أحد أركان التصوف الأربعة وهم: (الرفاعي، الجيلاني، البدوي، الدسوقي)، عرفت الطريقة انتشارا كبيرا في المغرب وأفريقيا، على يد الشيخ أبي مدين شعيب، ويعتبر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت909هـ/1504م) أول من أدخل الطريقة للصحراء والسودان الغربي، وأخذها عنه الشيخ عمر الشيخ بن أحمد البكاي(ت 960هـ/1553م)، من فروعها: الطريقة البكائية، والمختارية[15].

. الطريقة الشاذلية : مؤسسها أبو الحسن علي الحسن الشاذلي الحسيني (ت656هـ /1258م)، ولد بالمغرب، أخذ التصوف على يد الشيخ عبد السلام ابن مشيش، تنقل في أصقاع العالم الإسلامي، واستقر في الأسكندرية بمصر، حيث أقام مدرسته ووضع أسس طريقته [16].

. الطريقة الموساوية: تنسب هذه الطريقة للشيخ احمد بن موسى بن خليفة، ولد بقرية سيدي موسى بالقرب من فاس سنة 895هـ/1475م، من شيوخه الشيخ محمد بن احمد بن غازي المكناسي، والشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، تنقل بين عدد من المراكز في الشمال، ثم استقر في الجنوب الغربي للجزائر بقرية سيدي موسى منطقة كرزاز، وأسس هناك زاوية للعلم وقصده الناس من كل مكان وبدأ في نشر أوراده وطريقته، بعد وفاته سنة 1013هـ/1604م خلفه أبناؤه على الزاوية والطريقة [17].

. الطريقة الملیانیة: نسبة للشيخ أحمد بن يوسف الملياني (ت931هـ/1525م) أحد أقطاب الطريقة الشاذلية[18].

. الطريقة الشيخية: مؤسسها الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان المعروف بسيدي الشيخ، ولد سنة 940هـ/1533م بفقيق، درس على يد والده وعمه الشيخ أحمد المجدوب، انتقل بعدها إلى فاس ودرس بها الطريقة الشاذلية، عاد بعدها إلى فقيق وبنا زاوية للعلم، له العديد من المؤلفات

---

(15) للمزيد حول الطريقة وشيوخها وفروعها، أنظر: محمد بن سيد المختار الكنتي: المخطوط السابق. وعبد القادر الكسنمي الطوبوي: المرجع السابق.

(16) ينظر: عبد الحكيم عبد الغاني قاسم: المرجع السابق، ص 174..

(17) محمد الصالح حوتية: **توات والأزواد خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**، جزآن، دار الكتاب العربي، القبة الجزائر، 2007، ج1، ص186 وما بعدها.

(18) ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 502 وما بعدها.

في التصوف منها: "الياقوته"، وهي قصيدة في التصوف، "رسالة في التصوف"، "الحضرة"، توفي سنة1025هـ/1616م[19].

. الطريقة الطيبية: مؤسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم الوزاني (ت1089هـ/1678م) وهي أحد فروع الشاذلية.

. الطريقة الرقانية: مؤسسها الشيخ مولاي عبد الله الرقاني (ت 1148هـ/1735م) [20] استوطن رقان بتوات وأسس بها زاويته التي ذاع صيتها في ربوع توات وأفريقيا خاصة في عهد ابنه وخليفته مولاي عبد المالك (ت1207هـ /1793م)[21] الذي عرف بزهده وورعه، وقال عنه البرتلي في فتح الشكور: "**القطب الرباني، والغوث الصمداني، الوالي الصالح...ساقي المريد، وعمدة أهل التوحيد، شيخ المحققين، ومربي السالكين... وبالجملة فهو في الصلاح والولاية فوق ما يذكر ... مكث اثني عشر عاما لا ينام ليلا ولا نهار، ملازما لتلاوة القرآن**"[22] .

ـ الطريقة الرحمانية: مؤسسها هو الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري الزواوي، درس في الأزهر، وتعلم أوراد الطريقة الخلوتية، وعاد إلى مسقط رأسه، وبنا زاوية هناك، سنة 1774 وأخذ في نشر تعاليم ومبادئ طريقته التي كان لها انتشار في وسط وشرق الجزائر[23].

. الطريقة التجانية: تنتسب الطريقة التجانية للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن سالم المختار التيجاني، ولد بعين ماضي سنة1150هـ/1737م، تنقل بين أماكن مختلفة واتصل بعدد من الشيوخ، تتصل طريقته بالرسول ﷺ مباشرةً. بعد اضطهاد العثمانيين له قرر الرحيل إلى فاس، التي توفي بها سنة 1230هـ/1815م[24].

---

(19) نفسه: ج1، ص 201 وما بعدها.

(20) محمد عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التنيلاني: **الدرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف الإدريسيين والعلويين**، مخطوط، دون رقم، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر، ص 11. مولاي التهامي غيتاوي: **سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات**، جزآن، ط1، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، 2001، ج1، ص 21.

(21) البرتلي الولاتي محمد بن أبي بكر الصديق أبي عبد الله (ت 1219هـ/1804م): **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 201 وما بعدها. محمد عبد القادر بن عمر التنيلاني: المخطوط السابق، ص11.

(22) البرتلي: المصدر السابق، ص ص201، 202.

(23) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 514 وما بعدها.

(24) نفسه: ج1، ص 516 وما بعدها.

. الطريقة السنوسية: مؤسسها محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي المولود سنة 1787م بمستغانم، والمعروف بكثرة اسفاره، وفي مكة اسس أول زاوية له سنة 1837م، ثم انتقل إلى برقة في ليبيا حيث أسس الزاوية البيضاء ثم منها إلى واحة الجغبوب والتي أسس بها مدرسة لتخريج مريدي الطريقة[25].

. الطريقة العلاوية: تنسب إلى الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المولود سنة 1871م في مستغانم وهي طريقة شاذلية.

. الطريقة الهبرية: تفرعت عن الطريقة الشاذلية وتنسب إلى محمد الهبري العزاوي الزروالي نسبة إلى بني زروال بمستغانم.

ج . مساهمة الزوايا والطرق الصوفية في ترسيخ قيم الوحدة الوطنية: كان للزوايا والطرق الصوفية دورا كبيرا في ترسيخ قيم الوحدة الوطنية من خلال الآتي:

1 . الحفاظ على الهوية الوطنية: كونها تشكل الدعامة الأولى للمجتمع الجزائري، بمكونتها الثلاثة: الإسلام، واللغة العربية، والبعد الأمازيغي، ومنذ قدوم الاستعمار وإلى غاية اليوم نلاحظ أن الكثير ممن دافعوا عن مقومات الأمة ورواد الإصلاح في الجزائر كانوا طرقيين، أو من خريجي الزوايا، والأمثلة كثيرة، فشيخ التجانية بالجزائر العاصمة عمر بن قدور يعتبر في نظر الكثيرين رائد الصحافة العربية في الجزائر، وأول من أسس صحيفة عربية إسلامية، وهي الفاروق، التي صدر العدد الأول منها في 18 فبراير عام 1913م، وكان شعارها:

ديني ووجداني وحبّ بلادي ***** قلمي لسان ثلاثة بفؤادي[26]

ورائد الإصلاح الشيخ عبد الحميد ابن باديس كان من إتباع الطريقة الرحمانية، كما أن أب الاستقلال، ومؤسس نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري مصالي الحاج، كان والده مقدما للطريقة الدرقاوية بتلمسان[27].

---

(25) محمد نسيب: المرجع السابق، ص ص 181 . 183.

(26) زاهر احدادن: **الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 30، 31.

2 . التعليم والتربية: يعد التعليم أحدى الوظائف الأساسية للزوايا والطرق الصوفية، ومنهجها في التدريس مستمد من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، خاصة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر والذي عمل على محو القيم الإسلامية وطمس معالم الشخصية العربية الإسلامية بشتى الوسائل وبمختلف السبل، وحول العديد من المساجد إلى كنائس، وبدأ في نشر المسيحية ومنع تدريس اللغة العربية.[28] وقد صرح الجنرال كامو (Camu) بعد التفتيش العام سنة 1270 هـ/ 1854م، بأن المراقبة الصارمة لتعليم الجزائريين هي الوسيلة الوحيدة التي تضمن استمرار الاستعمار، ولذا يجب تقليص عدد المساجد والكتاتيب، وصدرت الأوامر بإحصاء الزوايا والشيوخ والطلبة، ومعرفة اتجاهاتهم وعلاقتهم بالطرق الصوفية والمقاومة[29]. وفي إحصاء يعود إلى سنة 1851، جاء فيه أن عدد الزوايا في الأرياف بلغ 593 زاوية تضم 8347 من الطلاب الذين انهوا المرحلة الأولى، فحفظوا القرآن وتعلموا القراءة والكتابة والحساب وبعض المتون. وكانت الكثير من الزوايا بالرغم من الصعوبات التي كانت تعترضها توفر لطلبتها نظاما داخليا، يضمن لهم الأكل والمبيت والاستفادة من جميع مرافق الزاوية.

وبعد الاستقلال واصلت الزوايا والطرق الصوفية رسالتها التعليمية إلى جانب المنظومة التربوية حيث أحصت مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار مثلا سنة 1427هـ/ 2006م حوالي 23 زاوية بالولاية، كانت تضم أربعة عشر وستمائة وثلاثة آلاف (3614) طالب داخلي[30]. كما نذكر في هذا الصدد أن الطرق الصوفية أنفقت بسخاء على نشر تعاليمها

---

(27) نوار سوكو: **الزوايا في الجزائر.. الأم التي رعت الجزائريين وتنكّروا لشهادة ميلادها**، جريدة الخبر، العدد الجمعة 27 جوان 2014 متاح على http://www.elkhabar.com/ar/autres/dossiers/411177.html
تاريخ الاطلاع (2014/11/14)

(28) للمزيد حول هذا الموضوع ينظر مثلا: محمد البشير الإبراهيمي: **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**. جمع د. أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج3، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 92، 100، 149 وما بعدها.

(29) محمد بن شوش، المرجع السابق، ص 147.

(30) ع طاهري: **الزوايا والمدارس القرآنية بولاية أدرار مع عدد الطلاب وشيوخها**، [على الخط]، محاضرات ومواضيع إسلامية، القسم الإسلامي، منتدى شباب تنركوك، متاح على<<http://tinerkouk.banouta.net/t1883-topic>>
تاريخ الإطلاع (2012/02/10).

وأورادها، كون معرفة الأوراد شرط أساسي من شروط التصوف[31]، وهو من دون شك ما ساعد في القضاء على أمية الحرف.

2 . الجهاد في سبيل الله: كان للزوايا والطرق الصوفية دورا كبيرا في مختلف مرحل المقاومة؛ من المقاومة الشعبية، إلى المقاومة السياسية، إلى ثورة التحرير المباركة، ومن الأمثلة على ذلك: ثورة الأمير عبد القادر سنة 1832م، التي كان منبعها الزاوية القادرية في الغرب الجزائري. ثورة الشيخ المقراني سنة 1871م، التي وجدت الدعم والمساندة من طرف الشيخ الحاج محمد الحداد، شيخ الزاوية الرحمانية في منطقة القبائل، والذي أعلن الجهاد ضد المستعمر ودعا الشعب للمقاومة، فاستجاب له أكثر من (150) ألف رجل من القبائل وأتباع الطريقة، حتى عرفت بثورة المقراني والشيخ الحداد[32]، ثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881م، والتي وجدت الدعم من طرف مريدي الطريقة الشيخية المنتشرين في الغرب الجزائري والصحراء[33]، وثورة الشيخ أمود والتي وجدت الدعم من أتباع الطريقة السنوسية. وواصلت الزوايا والطرق الصوفية هذا الدور إبان الثورة التحريرية ومن الأمثلة: زاوية سيدي علي والطالب بقرية كوكو دائرة عين الحمام ولاية تيزوزو، والتي تكون بها الكثير من المناضلين الذين فجروا الثورة، وزاوية أولاد بومرداس ببلدية تيجلابين ولاية بومرداس والتي تأسست في القرن السابع الهجري، حيث أنه وبعد اندلاع الثورة التحريرية كان بها 80 طالبا التحقوا جميعا بجيش التحرير[34]، وزاوية الشيخ عبد الرحمان اليلولي الزواوي والتي تحولت إلى مقر للمجاهدين إبان الثورة، والتحق الكثير من طلبتها بجيش التحرير مما جعلها عرضة للانتقام حيث حاصرتها جيوش الاحتلال الفرنسي سنة 1957م، وتم هدم الزاوية على من فيها وكانت النتيجة سقوط أكثر من أربعين شهيدا[35]. وكان للطريقة الرقانية بتوات ورد خاص بالرماية، وهذا الورد لا يعطى هكذا وإنما للثقات من المجاهدين موريدي الطريقة وأهم ما يتضمنه:

---

(31) مبارك جعفري: **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي**، دار السبيل للنشر، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص139.

(31) الزبير سيف الإسلام: **ثورة المقراني في حديث الأولاد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 45.

(33) يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين**، جزآن، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ج1، ص 218 وما بعدها.

(34) محمد نسيب : المرجع السابق، ص 217.

(35) نفسه : ص 127.

. بسم الله ومن الله وبفضل الله ورسوله ﷺ.

. بسم الله شديت ومديت.

. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى))[36] صدق الله العظيم[37].

3 . غرس قيم التكافل والتضامن: كون الورد يلغي جميع الفوارق ويجمع المريدين حول محبة الشيخ وطاعته، وبالتالي تذوب الفوارق الجهوية والعنصرية بين أتباع الطريقة أو الزاوية، وتخلق جو من التضامن والتآزر ومن الأمثلة على ذلك خليفة الأمير عبد القادر على تلمسان محمد بن عبد الله الذي لجأ إلى توات واحتمى بمريدي الطريقة القادرية بعد نهاية مقاومة الأمير سنة 1847م[38]، ونفس الشيء بالنسبة للشيخ بوعمامة الذي اتجه إلى توات واحتمى بسكان واحة دلدول وأسس زاوية له مع نهاية عام1883م واستقر هناك إلى غاية 1894[39]، ولم يكن ليحصل على الحماية لولا وجود مريدي وزوايا الطريقة الشيخية هناك. كما أن الحاج مهدي باجودة مقدم الطريقة السنوسية وشيخ الزاوية بعين صالح كان على اتصال دائم بالشيخ بوعمامة، وقد سجل شاعر ثورة أولا سيد الشيخ محمد بلخير، موقف سكان الغرب الجزائري لغاية سطيف في دعم مقاومة الشيخ بوعمامة في أحد قصائده التي منها البيت الآتي:

رجال الله من توات إلى سطيف ***** رضوا عن الشيخ لسقام الفرسان[40]

وواصلت هذا الدور بعد الاستقلال فدوما نجد الزوايا والطرق الصوفية في مقدمة المتضامنين عند حدوث العوارض والكوارث، وأكثر من ذلك ساهمت الزوايا والطرق الصوفية في ربط وشائج القربى بين الجزائر والكثير من البلدان خاصة دول الساحل جنوبا، وفي هذا

---

(36) من الآية 17 من سورة الأنفال وتمامها ((**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِن اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)).

(37) عبد الله سماعيلي: **دور الزاوية الرقانية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح**، أعمال الملتقى الوطني البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، تنظيم مديرية الشؤون الدينية لولاية أدرار، يومي 15 . 16 ديسمبر 2012م، ص ص109، 110.

(38) مقلاتي عبد الله وآخرون: **الثورة التحريرية في إقليم توات 1956 . 1962**، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، ولاية أدرار، ص 09.

(39) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص 218 وما بعدها.

(40) نفسه: ص 09.

الصدد يقول الكاتب الفرنسي ديفريي(Duveyrier): "أن الطريقة البكائية الكنتية هي المفتاح من الجزائر إلى تمبكتو، وانك لا تستطيع أن تعرف هل البكائيون من أفريقيا، أم من الجزائر، لكثرة أملاكهم وأتباعهم، ولترددهم هنا وهناك"[41].

. نشر الوعي بين أفراد الشعب: من خلال تغذية الصغار بالروح الوطنية، وخير مثال على ذلك: ما ذكره المجاهد الحاج التومي سعيدان، عن إنشاء المؤسسة الفدائية لجمعية الرماية والزاوية القادرية، التي كانت تنشط في منطقة الهقار وتدكلت، وكان من مهامها تدريب الشباب على الرماية، وتوعية الشعب، وكان نشاطها تحت مسؤولية وتوجيهات الرجال الصوفيين للطريقة القادرية وشيوخ الزوايا بمنطقة عين صالح[42]. أو زاوية الشيخ سيدي محمد بن الكبير بأدرار والتي كان لها دور ريادي كبير خلال الثورة التحريرية المباركة، تجلى في تلك الدروس والمواعظ، التي كان الشيخ يلقيها، يحث فيها الناس على الصبر، والثبات، والجهاد في سبيل الله، خاصة مع المكانة التي كان يحتلها وسط السكان المحليين، كما كانت الزاوية تستقبل المجاهدين من الولاية الخامسة والسادسة، الذين كانوا يتنكرون في ذي المريدين والطلبة القادمين من الشمال، ومن المجاهدين الذين قدموا عليها: المجاهد شريف بن سعدية، وأحمد دراية، وبن لهوشات، بل أكثر من ذلك أن أحد الفرنسيين ويدعى (نهكرلو) اعتنق الإسلام وأصبح يشتغل سر مع المجاهدين[43]، وكان للشيخ الدور الأبرز في إسلامه، كما كان للشيخ الفضل في تجنيد الكثيرً من المتعاونين مع الاستعمار، بفضل مكانته وصيته.

. إفشال مخططات الاستعمار الرامية إلى تقسيم الشعب الجزائري: عند اندلاع الثورة التحريرية المباركة اجتمع الجميع تحت راية الجهاد من قادرية، ورحمانية، وتجانية، ودرقاوية، وشيخية، وشاذلية، ولم يفرق الأتباع بين المجاهدين، كما ساهمت الزوايا وشيوخها في إفشال مخططات الاستعمار الرامية إلى تقسيم الشعب الجزائري ومن بينها مشروع فصل الصحراء، وهنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر موقف الشيخ بيوض في غرداية والذي رفض المشروع ورد على مبعوث ديغول اوليفيي فيشار بعد أن ألح عليه بالموافقة على مشروع التقسيم "**إن الصحراء ملكا**

---

(41) مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 273.

(42) التومي سعيدان: **سكان تدكلت القدماء والاتكال على النفس**، د م ن، 2005، ص ص 292، 293.

(43) مولاي التهامي غيتاوي: المرجع السابق، ص32.

للجميع ولا تخصنا نحن الميزابيين"[44] وهو نفس موقف الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي حسب ما أورده في مخطوطه "نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات" حيث يقول: "**وضاق الخناق على المستعمر الفرنسي وعندما حاول أن يفصل الصحراء عن القطر الجزائري وعن المغرب ومالي وأن تكون الصحراء تحت راية فرنسا يسيروها الصحراويون أنفسهم ...فكلفوا بهذه المهمة القبيحة .. المفتون محمد محمود بن الشيخ قاضي تمبكت وصاحب أزواد**"[45]. ويواصل الشيخ مولاي أحمد الحديث عن المشروع بقوله: "**كما أن الفرنسيين بذلوا له العطايا الجزيلة وجعلوا رهن إشارته أنواع المراكب من طائرة فما دونها ...فوقع له كثيرا من أهل الحل والعقد على وثيقة كانت معه على أن الصحراء يجب أن تكون منفصلة عن الجزائر والمغرب ومالي وهكذا وصل إلى توات .. وعرض علينا هذه الخطة**"[46]. وعن دوره في إفشال الخطة يقول الشيخ مولاي أحمد: "**فعلمت أن هذا مكر وخديعة وحيلة وأمر خطير فطلبت منه السماح وادعيت بأني مريض فزجرني الحاكم الفرنسي وقال لابد أن تذهب مع القاضي السيد محمد محمود ... وما وسعني إلا أن ذهبت معه وكان في ذهابي خير كثير لأنني أعترف في الظاهر وفي حضرته وأحذر الناس منه في الباطن وعند غيبته حتى فشلت عنه خطته من أولها إلى آخرها**"[47]. وهكذا لم يجد المستعمر بين شيوخ توات والهقار وغرداية وورقلة وبشار...الخ من يقف مع مشروع فصل الصحراء، وهو ما ينبئ عن وعي سياسي وروح وطنية عالية تمتع بها رجال الزوايا.

. دورها في المأساة الوطنية: بعد الأحداث التي عرفها الشعب الجزائري في العشرية الأخيرة من القرن الماضي، كان موقف الزوايا والطرق الصوفية واضحا، وكانت دوما بعيدة عن التطرف والعنف كسبيل لحل المشاكل، وهنا نذكر مقولة شيخ الأزهر سابقا الدكتور أحمد عمر هاشم: "**التطرف لم يخرج من الزوايا أبدا ولن يخرج منها، بينما يخرج من غيرها، لأنها تربّي الصبي**

---

(44) يوسف بن بكير الحاج سعيد: **تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1992، ص 215.

(45) مولاي احمد الطاهري الإدريسي: **نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات**، مخطوط، د ر، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر، ص 04.

(46) نفسه: ص 05.

(47) نفسه: ص 06.

على الأخلاق"[48]. وفي اجتماعهم التشاوري المنعقد يوم 2011/6/07م دافع شيوخ الزوايا، عن المشروع الخاص بالعفو الشامل من أجل الطي النهائي لصفحة المأساة الوطنية [49]، وتجاوز هذه الحقبة السوداء من تاريخ الجزائر.

. دورها في رأب الصدع وإصلاح ذات البين: من بين الوظائف الاساسية التي دأبت الزوايا والطرق الصوفية على ممارستها عبر العصور، اصلاح ذات البين وراب الصدع بين ابناء الشعب الجزائري في الشدائد والمحن، التي مر بها وكل ما تقع أحداث مؤسفة كأحداث القبائل أو غرداية أو برج باجي المختار إلا ويهرع الشيوخ لإطفاء نار الفتنة، ولأن الأمثلة كثيرة سنكتفي بذكر مبادرة الصلح التي قام بها أئمة وشيوخ زوايا عنابة وزيارتهم لولاية غرداية، ولقائهم بجميع الأطراف، وتمحور اللقاء حول معاني الأخوة وإطفاء نار الفتنة ووحدة الوطن، مقترحين تبادل الزيارات في المناسبات وغيرها بغية التقارب أكثر[50]. والمبادرة التي قام بها شيوخ الزوايا في ادرار لإصلاح ذات البين بين المتنازعين في برج باجي المختار، والتي أتت أكلها وتم وأد الفتنة في مهدها.

ولم يقتصر هذا الدور على الوطن بل تعداه إلى خارج الوطن، وفي هذا الصدد نذكر تدخل شيوخ التيجانية في الجزائر للفصل في حل النزاع بدارفور بالسودان، وبفضل جهود الوساطة هاته تم تنظيم لقاء صلح بين الحكومة والجبهة المسلحة، وتوّج الاتفاق ببيان كان شعاره "**الصلح خير**"، وبعد 15 يوما تخلى الطرفان عن السلاح[51].

---

(48) نوار سوكو: **الزوايا في الجزائر.. الأم التي رعت الجزائريين وتنكّروا لشهادة ميلادها**، جريدة الخبر، العدد الجمعة 27 جوان 2014 متاح على http://www.elkhabar.com/ar/autres/dossiers/411177.html
تاريخ الاطلاع (2014/11/14)

(49)شريفة ع : **شيوخ الزوايا مع العفو الشامل وطيّ صفحة المأساة الوطنية**، جريدة الفجر يوم 08 – 06 2011 – متاح على http://www.djazairess.com/alfadjr/184579
تاريخ الاطلاع 2014/11/13

(50)ع. زهيرة : **مبادرة من أئمة وشيوخ زوايا بعنابة، زيارة صلح إلى ولاية غرداية**، جريدة الخبر الأربعاء 19 فيفري 2014 عنابة، متاح علىhttp://www.elkhabar.com/ar/watan/387207.html تاريخ الاطلاع 2014/11/13

(51) نوار سوكو: المرجع السابق.

الخاتمة: وفي ختام هذه المداخلة بودنا التذكير باهمية الزوايا والطرق الصوفية كونها ركائز اساسية من ركائز المجتمع الجزائري والتي كان لها دور اساسي عبر العصور خاصة ابان الاستعمار الفرنسي حيث كانت حاضنة للمقاومة الشعبية وساهمت في المحافظة على عناصر الهوية الوطنية ولهذا سعى المستعمر بكل الوسائل الى محاربتها وتشويهها وتجريدها من الوقف بغية القضاء عليها، وبعد الاستقلال واصلت مهامها في خدمة الوطن والوقوف إلى جانبه خاصة في الشدائد والمحن.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- مسلم (الصحيح): كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، 19(2889) .
- احدادن زاهر: الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. جمع د. أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج3، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997.
- الإدريسي مولاي احمد الطاهري: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط، د ر، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر.
- الأعشى ميمون بن قيس بن جندل: الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين، شرح أبي العباس ثعلب، طبع مطبعة آدلف هلز هوسن بيانة، 1927م.
- البرتلي الولاتي محمد بن أبي بكر الصديق أبي عبد الله (ت 1219هـ/1804م): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
- بن بكير الحاج سعيد يوسف: تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1992.
- بوعزيز يحي: ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين، جزآن، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.

– التمنطيطي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، د ت، خزانة تمنطيط، ادرار، الجزائر.
– التنيلاني محمد عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان: الدرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف الإدريسيين والعلويين، مخطوط، دون رقم، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر.
– حوتية محمد الصالح: توات والأزواد خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، جزآن، دار الكتاب العربي، القبة الجزائر، 2007.
– جعفري مبارك: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، دار السبيل للنشر، بن عكنون، الجزائر 2009.
– الزبير سيف الإسلام: ثورة المقراني في حديث الأولاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
– سرير ميلود وآخرون: دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات (وحدة بحث)، جزآن، جامعة أدرار، د ت.
– سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
– سعيدان التومي: سكان تدكلت القدماء والاتكال على النفس، د م ن، 2005.
– سماعيلي عبد الله: دور الزاوية الرقانية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح، أعمال الملتقى الوطني البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، تنظيم مديرية الشؤون الدينية لولاية أدرار، يومي 15 . 16 ديسمبر 2012م.
– سوكو نوار: الزوايا في الجزائر.. الأم التي رعت الجزائريين وتنكّروا لشهادة ميلادها، جريدة الخبر، العدد الجمعة 27 جوان 2014 متاح على http://www.elkhabar.com/ar/autres/dossiers/411177.html
تاريخ الاطلاع (2014/11/14)
– شريفة ع : شيوخ الزوايا مع العفو الشامل وطيّ صفحة المأساة الوطنية، جريدة الفجر يوم 08 – 06 2011 متاح على **http://www.djazairess.com/alfadjr/184579**
تاريخ الاطلاع 2014/11/13

- طاهري عبد الله: الزوايا والمدارس القرآنية بولاية أدرار مع عدد الطلاب وشيوخها، [على الخط]، محاضرات ومواضيع إسلامية، القسم الإسلامي، منتدى شباب تتركوك، متاح على<<http://tinerkouk.banouta.net/t1883-topic>> تاريخ الاطلاع (2012/02/10).

- ع. زهيرة : مبادرة من أئمة وشيوخ زوايا بعنابة، زيارة صلح إلى ولاية غرداية، جريدة الخبر، يومية جزائرية مستقلة، عدد الأربعاء 19 فيفري 2014عنابة، متاح على http://www.elkhabar.com/ar/watan/387207.html تاريخ الاطلاع 2014/11/13

- غيتاوي مولاي التهامي: الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بالكبير، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2002.

- غيتاوي مولاي التهامي: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، جزآن، ط1، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، 2001.

- قاسم عبد الحكيم عبد الغاني: المذاهب الصوفية ومدارسها، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م.

- الكسنمي عبد القادر الطوبوي: كتاب البشرى شرح المرقاة الكبرى، مطبعة المنار، تونس، 1373هـ.

- الكنتي محمد بن سيد المختار: الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، مخطوط، د ت، خزانة الشيخ سيدي عبد القادر المغيلي، الحي الغربي، أدرار، الجزائر.

- مقلاتي عبد الله وآخرون: الثورة التحريرية في إقليم توات 1956 . 1962، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، ولاية أدرار.

- نسيب محمد: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، دمشق سوريا د س ن.

- وجدي محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، ط3، دار الفكر، بيروت، 1971.